مَنون الفيلسوف

عن ڤولتير

[نقلها اسماعيل مظهر]

ذات مرة تخيل « مَنون » ان في مقدوره ان يصبح فيلسوفاً عظيماً . فقال في نفسه : « من اجل ان أكون كامل السعادة تام الحظ ، ينبغي عليّ ان لا افعل من شيء اكثر من ان اجرد نفسي من كل الشهوات . وما من شيء في هذه الحياة اهون من هذا مطلباً ، او ايسر نوالاً ، على ما يعرف الناس جميعاً . وأول ما يجب عليّ ان اشد ، انما هو ان اظلّ بغير حُبّ . فاذا رأيت حسناء فاتنة ، كان اول ما احدث به نفسي في شأنها ان امس الى وجداني بأن هذين الخدين الاثيلين سوف يحولان فيما بعد تومين صفراوين تكسوهما التجاعيد وتشيع فيهما الاخاديد ، وهاتان العينان سوف يحيط بهما سواد الهرم ، وهذا الصدر البارز الجميل سوف يخسف ويزول جماله ، وهذه الرأس التي يزينها الشعر الجميل سوف يصيبها الصلع ، فتصبح اشبه بكرة من النحاس . ينبغي لي ان اتخيل الفاتنة التي يقع عليها نظري في حاضرها ، على ما سوف تكون في مقبل ايامها . وبذلك لن يستطيع وجه جميل او قوام رشيق ، أن يملك عليّ نفسي او يأخذ بنان قلبي »

« ثم يجب عليّ بعد هذا أن ألزم الاعتدال ، فلا يغويني المديح ، ولا يستهويني الكأس بلذائذه ، ولا اتطلع الى لمو المجتمع ، وما عليّ الاّ ان اصور لنفسي عواقب الافراط — من رأس مصدع ، ومعدة متخومة ، وأمعاء مسدودة ، وصدر ضيق ، وتنفس يلهو ويهبط . عليّ ان اتخيل ما في الافراط من ضياع العقل والصحة والوقت . وبذلك تكون صحتي على وتيرة واحدة فلا تتغير ، وتكون افكاري نقية كالغدير الساكن ، مضيئة كالنجم الثاقب . وكل هذا سهل هين ، لا يتطلب تنفيذه اعناتاً او ارهاقاً »

قال مَنون محدثاً نفسه — « غير انهُ ينبغي عليّ ان افكر قليلاً كيف ادبر امر مالي . ولكن لِمَ التفكير في هذا وأنا رجل محدود الحاجات ، وثروتي في حصانة رئيس